مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ٣: ٩–١٧)

يا إخوةُ إنَّا نحنُ عاملونَ مع اللهِ وأنتم حرثُ اللهِ وبناءُ اللهِ* أنا بحسبِ نعمةِ اللهِ المعطاةِ لي كبنَّاءٍ حكيمٍ وضعتُ الأساسَ وآخرُ يبني عليه. فلينظُرْ كلُّ واحدٍ كيف يبني عليه* إذ لا يستطيعُ أحدٌ أن يضعَ أساساً غيرَ الموضوعِ وهو يسوعُ المسيح* فإن كان أحدٌ يبني على هذا الأساسِ ذهباً أو فِضَّةً أو حجارةً ثمينةً أو خشباً أو حشيشاً أو تيناً* فإنَّ عملَ كلِّ واحدٍ سيكونُ بيّناً لأنَّ يومَ الربِّ سيُظهِرُهُ لأنَّه يُعلَنُ بالنارِ وستَمتحِنُ النارُ عملَ كلِّ واحدٍ ما هو* فمن بقِيَ عملُه الذي بناهُ على الأساسِ فسينالُ أُجرةً* ومَن احترقَ عملُهُ فسيخسرُ وسيخلُصُ هو ولكن كمَن يمرُّ في النار* أمَا تعلمون أنَّكم هيكلُ اللهِ وأنَّ روحَ اللهِ ساكِنٌ فيكم* مَن يُفسِدُ

مزار سيدة النورية

في الخامس عشر من شهر آب تعيّد كنيستنا المقدسة لرقاد سيدتنا والدة الإله. وفي مثل هذا اليوم من السنة ٢٠٠٩، عشية عيد رقاد الكلية القداسة والدة الإله، كرّس سيادة أبينا المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام مزار سيدة النورية الجديد في وسط بيروت، المشاد في الموقع نفسه الذي كان فيه المزار القديم قرب كاتدرائية القديس جاورجيوس، فعاد مذّاك مزاراً لقاصدي التبرّك والصلاة، وللذين افتقدوه طيلة أربع وثلاثين سنة.

ما تيسّر لنا عن تاريخ المزار ليس كثيراً، لأن عادة التدوين لحفظ الذاكرة لم تكن رائجة. لكن الثابت في ذاكرة البيروتيين خصوصاً، مسيحيين ومسلمين، وفرة العجائب التي لطالما نالها قاصدو العذراء الكلية القداسة في مزارها. نشير هنا إلى أنه ما إن أعادت كاتدرائية القديس جاورجيوس فتح أبوابها، آخر العام ٢٠٠٣، حتى تقاطر السائلون عن «متى النورية»؟. وكُثُرٌ من هؤلاء رووا لنا شفاءات أنعمت بها عليهم الكلية القداسة إثر تضرّعهم إليها في هذا المزار، وأكثر الحالات التي رويت لنا هي حالات حَبَل ما كان ممكناً طبياً، بالإضافة إلى شفاءات من أمراض متعدّدة أبرزها الشلل والسرطان. نذكر هنا حادثة نقلها إلينا إنسان، شاهدها بأم العين سنة ١٩٧٢ قال: في صبيحة أحد الأيام، أتت إلى المزار امرأة ومعها ابنها البالغ حوالي الست عشرة سنة من العمر، والذي كان يعاني من شلل الأطفال. هؤلاء كانت توضع على سوقهم ما يشبه الأقفاص المعدنية للتثبيت، ينتعلون أحذية خاصة ويستندون إلى عكازين ليتمكّنوا من المشي، بصعوبة. إذاً أتت الأم إلى المزار، وقفت وابنها بالباب، ودفعته إلى الداخل دفعاً، وصرخت بالعذراء قائلة: «خذيه، لن آخذه من هنا إلا ماشياً». إن هي إلا دقائق حتى خرج الفتى ماشياً مستقيماً ثابت الخطى شديد الساقين. المزار كان في وسط السوق، ولعله كان المكان الأكثر اكتظاظاً بالناس في لبنان. فما أن خرج الفتى حتى اشتعل المحيط بالتصفيق والزغاريد والتهليل، وبالتكبير أيضاً، وبكل شكل من أشكال التعبير العفوي، من الباعة

العدد ٢٠١١/٣٣

الأحد ١٤ آب ٢٠١١

تقدمة عيد رقاد والدة الإله

الفائقة القداسة

وتذكار القديس ميخا النبي

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر التاسع

هيكلَ اللهِ يُفسِده اللهُ لأنَّ هيكلَ اللهِ مقدَّسٌ وهو أنتم.

الإنجيل

(متى ١٤: ٢٢–٣٤)

في ذلك الزمان اضطرَّ يسوعُ تلاميذَهُ أن يدخلوا السفينةَ ويسبِقوهُ إلى العَبْرِ حتى يصرِفَ الجموعَ* ولمَّا صرفَ الجموعَ صعِدَ وحدهُ إلى الجبلِ ليصلّي. ولمَّا كان المساءُ كان هناك وحده* وكانتِ السفينةُ في وسط البحر تكدُّها الأمواجُ لأنَّ الريحَ كانت مُضادَّةً لها* وعند الهجعةِ الرابعةِ من الليل مضى إليهم ماشياً على البحر* فلمَّا رآه التلاميذُ ماشياً على البحر اضطربوا وقالوا إنَّه خيالٌ ومن الخوفِ صرخوا* فللوقتِ كلَّمهم يسوعُ قائلاً ثِقوا أنا هو لا تخافوا* فأجابه بطرسُ قائلاً يا ربُّ إنْ كنتَ أنت هو فمُرْني أن آتيَ إليك على المياه* فقال تعالَ. فنزل بطرسُ من السفينة ومشى على المياه آتياً إلى يسوع* فلمَّا رأى شِدَّةَ الريحِ خافَ وإذْ بدأ يغرقُ صاح قائلاً يا ربُّ نجّني* وللوقتِ مدَّ

ورواد السوق، على اختلاف أديانهم. بعض باعة السوق عقدوا «الدبكة» أمام المزار، وبعضهم صار يوزع بضائعه على الناس مجاناً.

يعود تاريخ المزار إلى أواخر عشرينات القرن العشرين، سنة ١٩٢٨ أو ١٩٢٩، أواخر أيام المثلّث الرحمة السيد جراسيموس (مسرّة) متروبوليت بيروت وتوابعها. وقد كان الموضع آنذاك زريبة غنم لعلّها لقصابي السوق. في مطلع الصوم الكبير من تلك السنة، صار ينبعث من الزريبة نور باتجاه الكاتدرائية، قبيل موعد صلاة النوم، يضيء للمؤمنين دربهم إلى الكنيسة مساءً. تكرر الأمر لعدة أيام. تجدر الإشارة هنا إلى أن المؤمنين القدامى كانوا، لقوة وحرارة إيمانهم، «أليفين» مع العجائب والظهورات إلى حد أنهم، إزاء هذه، كانوا يكتفون بالفرح المقدّس وشكر الله. عاين الكاهن النور، نقل الخبر إلى رئاسته الروحية التي أمرت بتفقد الزريبة بحثاً عمّا يمكن أن يكون مُبعثاً لهذا النور. هكذا كان، ووجدت تحت الأوساخ في عمق الزريبة أيقونة مربّعة الشكل للكلية القداسة، فنُقِلت على الفور إلى الكاتدرائية حيث وضعت لتبرُّك المؤمنين.

بُعيد هذا الحدَث بادر المثلّث الرحمة السيد إيليا (كرم)، متروبوليت الجبل آنذاك وكان بعد يسمى «مطران لبنان»، بادر إلى استئجار الزريبة من أصحابها وتحويلها إلى مقام للأيقونة العجائبية التي فاضت على قاصديها بالعجائب مذ جلست هناك، وسُمي المقام باسم «سيدة النورية». أوائل الخمسينات انتقل الإيجار إلى مطرانية بيروت، وعُهد بخدمة المقام إلى راهبات دير دخول السيدة برئاسة المغبوطة الذكر الأم المتوحدة ماريغو. مع الوقت امتلأ المقام بالأيقونات، معظمها من المؤمنين، إلى جانب الكثير من النذورات. في أيلول وكانون الأول سنة ١٩٧٥، تعرّض المقام لهجمتي نهب وتخريب، كانت الثانية أسوأهما، وفُقدت الأيقونة العجائبية ومعظم الأيقونات، وأتت موجات الحرب المتتالية على ما تبقى من المقام. اليوم صار العقار المشاد عليه المقام ملكاً للمطرانية، وفي ٢٨ أيلول سنة ٢٠٠٣ وضع سيادة أبينا المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام حجر الأساس للبناء الجديد. تأخر افتتاح المقام بضع سنوات بسبب أشغال كانت قائمة حوله.

أحد المصادر يشير إلى وجود المقام، أو «كنيسة السيدة» كما يسميه، منذ القرن الرابع عشر أو الخامس عشر. لا تتقاطع هذه الإشارة مع أي مصدر تاريخي آخر، ولعل المقصود كنيسة «سيدة البحر»، التي كانت آنذاك قائمة لا في هذا الموقع بل في مكان ما عاد معروفاً، أكثر إلى جهة الغرب. يشير مصدر آخر إلى احتمال أن «كنيسة سيدة البحر» هي نفسها كانت قائمة حيث هو مقام «النورية» الآن، وقد أزيلت أو صودرت إبان إحدى الفتوحات أواخر القرن السادس عشر. أياً يكن الحال، تبقى حادثة ظهور النور وما تلاها من إنشاء المقام، الأكثر دقة تاريخياً.

في المقام اليوم أربع ايقونات: إثنتان شقيقتان كتبتا في مطلع القرن السابع عشر، واحدة للسيد المبارك عنوانها «ملك الملوك ورب الأرباب»، والثانية للكلية القداسة عنوانها «رجاء المسيحيين والدة الإله». هاتان كانتا في الكاتدرائية قبل الـ١٩٧٥، وقد لحقت بهما أضرار بالغة، وقد أرسلتا إلى لندن للترميم. هناك بانت أولى العجائب على أيقونة الكلية القداسة. الأيقونة

يسوعُ يدَهُ وأمسك به وقال له يا قليلَ الإيمان لماذا شككتَ* ولمّا دخلا السفينةَ سكنَتِ الريحُ* فجاء الذين كانوا في السفينةِ وسجدوا له قائلين بالحقيقةِ أنت ابنُ الله* ولمَّا عبَروا جاءوا إلى أرض جنّيسارَتْ.

تأمل

كثيرون يدخلون إلى الكنيسة، يردّدون صلواتٍ مختلفة ويخرجون من دون أن يدركوا ماذا قالوا؛ تتحرّك شفاههم ولكنّ آذانهم لا تسمع. أنت نفسك لا تسمع صلاتك، وتريد أن يسمعها الله؟ تقول: «ركعت»، ركعت لكنّك حين كان جسدك في الداخل كان عقلك خارجاً، كنت تردّد الصلاة بالفم لكنّك في فكرك كنت تحسب الفوائد وتنظّم العقود وتبيع السلع وتشتري الأملاك وتقابل أصدقاءك، لأنّ الشيطان شرير ويعرف أنّنا في وقت الصلاة نحقّق أموراً عظيمة، لذلك يأتي في ذلك الوقت نفسه ويزرع فينا أفكاراً. مراتٍ كثيرة نكون ممدّدين على السرير من دون أن نفكر في شيء، لكن عندما نذهب إلى الكنيسة لنصلّي تخطر في ذهننا آلاف الأفكار، فنفقد هكذا ثمار الصلاة ونخرج

الثالثة أصغر حجماً للكلية القداسة، روسية عنوانها «فيودوروفسكايا» أو «عذراء الأمير فيودور»، تعود إلى أوائل القرن الثامن عشر، والشهادة التي أتت معها تشير إلى عجائبيتها. أما الأيقونة الرابعة، فهي سلافونية أيضاً، أيقونة «السنة الكنسية»، وتتكوّن من أيقونات صغيرة على عدد أيام السنة.

في أديار العالم الأرثوذكسي وكنائسه أيقونات عجائبية كثيرة، والصفة هذه تطلق على أيقونة بانت عليها ظاهرة غير قابلة للتفسير طبيعياً أو علمياً، أو نال مصلّون أمامها، بشكل مثبت، آيات شفاء خارقة أو غيرها. غير أن صفة العجائبية التي تطلق على أيقونة ما، لا تنفي وجود النعمة الإلهية عن الأيقونات الأخرى. في الأيقونة العجائبية أعطانا الله أن نعاين بواسطة فعل حسّي منظور تجسّد النعمة، إنما تبقى في كل الأيقونات الأخرى نعمة الله قائمة، لا في الخشب أو الألوان أو أي من مواد تكوينها، بل لأن المصوَّر عليها سماوي، وبصلاة تكريسها صارت المادة مقدّسة. نحن نعبد الثالوث القدوس ونؤمن بتجسّد الإبن الوحيد وباستمرار حضوره الحسي بيننا عبر الافخارستيا، نؤمن بحضور الروح الكلي قدسه وفعله التقديسي، وبموهبة التقدُّس التي نالها أناس قبلنا، ونجاهد لنكون على دربهم سائرين. لأجل هذا فقط نقف أمام الأيقونة المقدّسة مصلّين أو مستشفعين، ولعلّه لأجل هذا أيضاً يتعطف علينا الله تعالى بين الحين والحين، بأن نعاين بمحسوسيتنا فعل نعمته عبر هذه الأيقونة أو تلك. لقد عادت الكلية القداسة لتعطف علينا بحضورها العجائبي، بأيقونة لها عجائبية، في المكان نفسه الذي أعطت فيه لكثيرين عجائب كثيرة، وإن غُيِّب المقام أربعاً وثلاثين سنة.

نحن والمسنين

«فلما رأى يسوعُ أمَّه والتلميذَ الذي كان يحبُّه واقفاً قال لأمه يا امرأةُ هوذا ابنك، ثم قال للتلميذِ هوذا أمُّك، ومن تلك الساعةِ أخذها التلميذُ إلى خاصَّته» (يو ١٩: ٢٦–٢٧). إذا قرأنا هذا النص من الناحية البشرية، يمكننا القول إنّ الرب يسوع أراد أن يطمئن على مصير أمه في هذا العالم قبل انتقاله للجلوس عن يمين أبيه السماوي، فسلّمها إلى شخص يثق بمحبّته للعذراء وبأنه سيعتنيَ بها بأفضل الطرق.

بعد موت الرب وقيامته وصعوده إلى السموات، أخذ الرسول يوحنا العذراء مريم إلى بيته في مدينة أفسس حيث اعتنى بها إلى حين رقادها، أي كان إلى جانبها في سنوات شيخوختها من دون أن يتركها أو يتململ من خدمتها. قد يقول البعض إنّ يوحنا لم يكن يخدم شخصاً عادياً إنّما والدة الإله، وهو كان يسعى لينال البركات والنِّعم بفضل خدمته، أي بمعنى آخر كان يخدم في سبيل مصلحة ما. هذا الكلام ليس صحيحاً، لأنّ الرسول يوحنا كان يعيش مسيحيَّته بكمالها: بالمحبَّة والخدمة إلى جانب تبشيره بالمسيح في منطقته. إذاً كان لدى يوحنا العمل الكثير ليقوم به ومع هذا لم يُقصِّر في خدمته تجاه والدة الإله.

أما ما يحصل في أيامنا هذه تجاه المسنّين والشيوخ فغير مقبول. لقد ظهرت فكرة «مأوى العجزة» بسبب غياب المحبّة، محبّة الأولاد تجاه والديهم «الذين اعتنوا بتربيتهم» (على حسب ما نقول في

من الكنيسة صفر اليدين. طبعاً، الأمر نفسه يحدث عندما نصلّي في بيتنا و في أيّ مكان آخر.

إذاً، كلّ مرّة نصلّي فيها وندرك أنّ ذهننا قد ابتعد عن الله متوجهاً إلى أمور حياتيّة، فلنُعده ثانية مجبرين إياه على البقاء ملتصقاً بمعاني الصلاة بقوّة وانتباه. لنكرّر الصلاة منذ البداية، وإن حدث لنا الأمر نفسه فلنكرّرها مرّة ثالثة ورابعة. يجب الاّ نتوقف قبل أن نتلو الصلاة كاملة منذ البداية وحتى النهاية بذهن يقظ وفكر غير مضطرب وعندما يُدرك الشيطان أنّنا لا نسلّم الأسلحة سيتوقّف عن محاربتنا.

عندما نتقدّم بأيّ طلبٍ خاصٍّ بنا لدى حاكمٍ أرضي فإنّنا نكون كثيري الانتباه كما أنّ أفكارنا تكون مضبوطة، حتى أنّنا لا نرى أولئك الذين حولنا، ولا يكون في ذهننا سوى الإنسان الذي نحن أمامه إضافةً إلى الأمر الذي نريد أن نتكلّم معه بشأنه. ألا يجب أن نفعل الأمر نفسه وأكثر عندما نوجد أمام الله العليّ، ثابتين بقوّة في صلاتنا ولا نجول بذهننا هنا وهناك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

خدمة الإكليل). كم قرأنا ونقرأ أشعاراً عن الأهل الذين يسهرون على أبنائهم متى مرضوا أو يسهرون معهم متى كانوا ينتظرون حَدَثاً مهمًّا كنتائج المدرسة أو الجامعة، وكم نسمع عن الأهل الذين لا يهنأ لهم عيش متى تخرّج أولادهم ولم يجدوا عملاً فيجهدون في البحث لهم عن وظيفة مسخّرين كلّ قدراتهم وخاضعين للمذلّة في أحيان كثيرة، وإن لم يجدوا لهم عملاً فإنّ الأهل أنفسهم يعملون لساعات أطول مضحّين بصحتهم لتأمين العيش الرَّغيد لأبنائهم كي لا يكونوا أقلَّ شأناً من أقرانهم. حتى بعد زواج الأبناء نجد الأهل إلى جانبهم، يساعدونهم ماديًّا متى دَعت الحاجة أو يربُّون الأحفاد كون هذا الزمن يجبر الزوجين على العمل. وكثيراً ما نرى الأم تُعد الطعام لتعطيه لأبنائها وبناتها وعائلاتهم. هذه الأمور كلها ينساها بعض الأولاد متى شاخ أهلهم أو متى رزحوا تحت وطأة مرض ما، وهنا يأتي دور «المأوى».

إضافةً إلى ذلك، نجد مسنين يحاربون الموت بالعمل، فيعملون حتى ولو بلغوا سنًّا متقدّمةً، لأنّهم بحاجة إلى أن يشعروا بأنّهم مفيدون وبأنّهم ليسوا عالةً على أحد، حتى ولو دَفَعهم ذلك إلى احتمال المهانة والسخرية وكل أنواع التعنيف الجسدي والمعنوي. هؤلاء متى توقفوا عن العمل نجدهم يمرضون أو يموتون بسرعة إذ إنّ اليأس يدخل نفوسهم فتتدهور صحتهم ويرقدون. لو كان أبناء هؤلاء المسنين يهتمون بهم ويجعلونهم يشعرون بأنّهم ليسوا عالةً عليهم لما اضطروا على العمل واحتمال المهانة والذل.

قد يقول أحدهم إن «المعاش» الذي أتقاضاه لا يكفي لإعالة أولادي وعائلتي، فلا أستطيع أن أُعيل أهلي أيضاً. هذا حق يراد به باطل، لأنَّ الأهل في معظم الأحيان، رغم حاجة بعضهم المادية، لا يسعون وراء «معاش» أولادهم، إنما وراء كلمة لطيفة تطيّب خاطرهم وزيارة تُشعرهم بالمحبة ولا تحرمهم رؤية أحفادهم.

كمسيحيين مؤمنين، علينا أن نخرج من دائرة العلاقات العائليّة إلى المجتمع ككل، وأن نعتبر كل إنسان مسنّ أبانا وأخانا كما علّمنا الرب قائلاً: «لأن مَن يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي» (متى ١٢: ٥٠). لا نعتبرن أنفسنا فهماء وحُكماء لأننا لم نكن لنحصل على حكمتنا الأرضيّة لو لم يكن حولنا أناسٌ أكبر منا ينيرون دروبنا حيث يقول المَثَل الشعبي: «أكبر منك بيوم، أفهم منك بسنة». الإنسان متى شعر بأنّ هناك أناساً أكبر منه يهزأ بهم لأنهم لا يفهمون ما يفهمه من تكنولوجيا وغيرها، إلاّ أنّ التمتُّع بالبساطة ينقص بعض الأشخاص وهذا ينعكس على رؤيتهم لبساطة أولئك الشيوخ.

فلنُدخِل المحبَّة إلى قلوبنا مترافقةً مع التواضع اللازم، متعلّمين الخدمة المسيحية من الرسول يوحنا، ومتعاملين مع كل الشيوخ كما تعامل هو مع والدة الإله، وهكذا ننال البركات من الرب.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb